

Hassan Balawi

Gaza, dans les coulisses de mouvement national palestinien

(Paris: Editions Denoël, 2008). 202 p. (Impacts)

غزة، في كواليس الحركة الوطنية الفلسطينية

ساري حنفي

- ١ -

الوطني الفلسطيني، بما فيها غزة التي تشكّل فقط ٢ بالمئة من مساحة فلسطين التاريخية، ومع ذلك شكّلت منذ نكبة فلسطين الأولى في العام ١٩٤٨ الساحة الرئيسية التي تتحدّد فيها ملامح المشهد السياسي الفلسطيني، الذي يمتد إلى بقية المساحات الفلسطينية، سواء داخل الوطن أو في سياج منافيّ اللجوء والشتات.

يتناول الكتاب الموقع الاستراتيجي المهم لغزة كم منطقة تواصل بين قارتي آسيا وأفريقيا لموقعها جنوب البحر الأبيض المتوسط، والتي قال عنها القائد الفرنسي نابليون بوناپرت إنها بوابة آسيا وجسر لأفريقيا. لقد كانت غزة أول مركز إداري للكنعانيين في فلسطين، وقلعة متقدمة للفراعنة في مصر تصدّ الغزوات القادمة من آسيا، وهي من أقدم مدن العالم، كما أظهرت حملات تنقيب الآثار الأوروبية التي بدأت في العام ١٨٩٤ بفريق سويسري، مروراً بالبعثات البريطانية خلال الانتداب البريطاني، ووصولاً إلى البعثات الفرنسية مع إنشاء السلطة الوطنية الفلسطينية، التي أشارت إلى وجود مدينة رومانية في مخيم الشاطئ.

صدر للكاتب الفلسطيني حسان البلعوي كتابه غزة، في كواليس الحركة الوطنية الفلسطينية باللغة الفرنسية نهاية العام الماضي في باريس عن دار نشر «دونويل»، على تسعة فصول، تبدأ من تاريخ غزة القديم منذ فترة الكنعانيين، وصولاً إلى أعتاب العدوان الإسرائيلي الأخير على غزة.

يبتعد البلعوي في تجربته الأولى عن السرد التاريخي محاولاً تقديم وقائع تاريخية ليسقطها على الوضع السياسي الحالي، وعرض تفسير للاستخدام السياسي لهذه الوقائع، اعتماداً على تجربته الشخصية والمهنية في المؤسسة الفلسطينية. الكتاب مزيج من التاريخ المختصر والتحليل السياسي من منظور شخصي لمخاطبة الرأي العام الغربي، بهدف إيصال فكرة بسيطة تتمحور حول أن لا سلام ولا استقرار في منطقة الشرق الأوسط وضفتي البحر الأبيض المتوسط دون تحقيق الأهداف الوطنية المشروعة للشعب الفلسطيني المتمثلة في المشروع

«فتح»، كما تناول تأسيس رابطة الطلاب الفلسطينيين في القاهرة في مطلع الخمسينيات لتشكّل إحدى الحاضنات الرئيسية لولادة الفكرة الوطنية الفلسطينية بإسناد التحركات الجماهيرية التي قادتها نقابة المعلمين كائتلاف بين تيارى الإخوان المسلمين والحزب الشيوعي وعدد من الشخصيات المستقلة في إشغال مخطط التوطين.

كما استعرض مرحلة الاحتلال الإسرائيلي الأول للمقطاع إثر العدوان الثلاثي على مصر في العام ١٩٥٦، مركزاً على تجربة المقاومة الشعبية، وعلى الرفض الشعبي لتدويل قطاع غزة طبقاً لمشروع طرحه وزير الخارجية الكندي آنذاك، متناولاً بروز الشخصية الوطنية الفلسطينية ببعدها القومي، ودعوة الرئيس الراحل جمال عبد الناصر لتأسيس الاتحاد القومي، ثم المجلس التشريعي في العام ١٩٦٢، وصولاً إلى إنشاء منظمة التحرير الفلسطينية.

- ٢ -

قدم الكاتب قراءة لتطور المشروع الوطني الفلسطيني، الذي لعبت حركة فتح آنذاك الدور الرائد فيه عبر مراحل متعدّدة، بدءاً من معركة الكرامة في العام ١٩٦٨، مروراً بخروج المقاومة الفلسطينية من لبنان في العام ١٩٨٢، الذي دفع إلى عودة الثقل النضالي الفلسطيني إلى الداخل المحتل، واشتعال الانتفاضة الأولى من مخيم جباليا في أواخر العام ١٩٨٧، وما صاحب ذلك من «جوع السلام» الفلسطيني، الذي تجسّد في دورة

يستعرض الكتاب سريعاً الحقبات التاريخية التي مرت بها غزة من فترة حكم الإسكندر المقدوني وقيام مدارس فلسفية وجامعة، مروراً بالحقبة المسيحية التي تركت عدة كنائس وآثار تاريخية مهمة ما زالت قائمة حتى اليوم، وانتهاء بالفتح الإسلامي الذي شيّد مساجد غنية بالمستوى المعماري، ومنها مسجد السيد هاشم، جدّ رسول الله محمد (ﷺ) الذي أعطى المدينة اسم غزة هاشم، وصولاً إلى حقبة الحروب الصليبية أو حروب الفرنجة التي شهدت صلح الرملة بتوقيع القائد صلاح الدين الأيوبي مع ملك الفرنجة ريتشارد قلب الأسد.

يستعرض الكتاب مرحلة النكبة وأثرها في التغيّر الديمغرافي الجذري لغزة من مضاعفة سكانها ثلاث مرات، نتيجة لتدفق اللاجئين، وما فرضه ذلك من وقائع جديدة، ووقائع عقد أول مجلس وطني فلسطيني برئاسة مفتي فلسطين الحاج أمين الحسيني في مطلع تشرين الأول/أكتوبر ١٩٤٨ في مدرسة الفلاح، والذي اعتمد العلم الفلسطيني الحالي، كما دعم إنشاء حكومة عموم فلسطين كأول محاولة كيانية فلسطينية نالت اعتراف جامعة الدول العربية آنذاك، وكانت تصدر جواز سفر خاصاً بها، ولديها وزراء ومبعوثون تجوّلوا في العالم لشرح القضية الفلسطينية بما في ذلك الجمعية العامة للأمم المتحدة.

تناول البلعاوي الأسباب التي جعلت من جماعة «الإخوان المسلمين» الأكثر تأثيراً في القطاع، والتي خرجت من رحمها الطلائع الأولى المؤسسة لحركة

مجمل النظام الفلسطيني، ثم انتخاب أمين سر اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير محمود عباس رئيساً، وإنسحاب إسرائيل من قطاع غزة، وصولاً إلى فوز حركة حماس في انتخابات الدورة الثانية للمجلس التشريعي في مطلع العام ٢٠٠٦.

شرح البلعاوي طبيعة أول فوز للحركة الإسلامية في المشرق العربي وأسبابه وأبعاده، مروراً بالتجربة القصيرة لحكومة الوحدة الوطنية، ثم ما سُمّاه المؤلف «الانقلاب العسكري لحماس على الشرعية الفلسطينية» في غزة. تبع ذلك إعلان إسرائيل للقطاع ككيان معادٍ، وصولاً إلى المرحلة التي سبقت العدوان الإسرائيلي، ثم توقّعه كنتيجة للوضع القائم.

الكتاب، وإن تحدّث بوضوح عن المسؤولية الفلسطينية لمأساة غزة، إلا أنه لا يغفل مسؤولية إسرائيل المباشرة الأصلية، ومسؤولية المجتمع الدولي تاريخياً، وعلى جميع الصعد في استمرار الاحتلال الإسرائيلي، ويشير بوضوح إلى أن منظمة التحرير الفلسطينية واحدة، قوية وموحّدة، تضم جميع القوى الفلسطينية، بما في ذلك حماس والجihad الإسلامي، هي وحدها القادرة على صنع حلّ الدولتين. وينهي بلعاوي بمطالبة المجتمع الدولي بتحمّل مسؤولياته القانونية والتاريخية والأخلاقية، ليعمّ السلام والعدالة في المنطقة العربية، ولتعود غزة مركز التقاء الحضارات، كما كانت على مدى العصور □

الاستقلال في المجلس الوطني الفلسطيني في الجزائر في العام ١٩٨٨، وصولاً إلى حرب الخليج الثانية، وما نتج منها من مؤتمر مدريد للسلام الذي قاد إلى اتفاق أوسلو في العام ١٩٩٣.

يلقي الكتاب الضوء على إنشاء السلطة الوطنية كمرحلة جديدة في مسار الحركة الفلسطينية تلخّص في محاولة الانتقال من الشرعية الثورية إلى الشرعية الدستورية، بحسب وصف الرئيس محمود عباس لدى اجتماع المجلس المركزي لمنظمة التحرير الفلسطينية في تونس في تشرين الأول/أكتوبر ١٩٩٣.

ويقدم الكتاب قراءة للمعادلة الصعبة التي حكمت النظام الفلسطيني الوليد في محاولة الانتقال من حركة تحرر وطني إلى بناء مؤسسات دولة في ظلّ تجربة فريدة من نوعها في تاريخ الشعوب الواقعة تحت الاحتلال، تتمثل في إنجاز مهمتين في آن واحد: البناء واستكمال مهام التحرير. ويبرز الكاتب نهج «المدرسة العرفاتية» في قيادة الشعب الفلسطيني إلى برّ الأمان بكل الطرق والوسائل، وضمن خيارات وآليات سياسية يصعب فهمها ضمن منطق معيار الإدارة الدولية.

تناول الكتاب اندلاع الانتفاضة الثانية في العام ٢٠٠٠ والتغيّر الجذري الذي فرضته، مروراً بحصار الرئيس ياسر عرفات وموته الغامض، وأثر ذلك في

صدر حديثاً عن



مركز دراسات الوحدة العربية

بناية «بيت النهضة»، شارع البصرة، ص. ب: ٦٠٠١ - ١١٣
الخمراء - بيروت ٢٤٠٧ ٢٠٣٤ - لبنان
هاتف: ٧٥٠٠٨٤ - ٧٥٠٠٨٥ - ٧٥٠٠٨٦ (٩٦١١)
فاكس: ٧٥٠٠٨٨ (٩٦١١) - برقية: «مرعبي» - بيروت
بريد إلكتروني: info@caus.org.lb
http://www.caus.org.lb
إنترنت:



(٤٣٠ ص - ١٥\$)

تنسيق وتحرير: د. علي خليفة الكوازي



(٤٣١ ص - ١٦\$)

د. محمد عابد الجابري



(٤٣٠ ص - ١٦\$)

د. محمد عابد الجابري



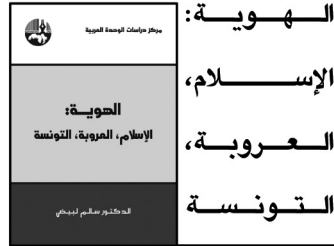
(٣٩٨ ص - ١٤\$)

د. هشام العوضي



(٤٠٠ ص - ١٥\$)

د. عزيزة عبد الله النعيم



(٢٨٨ ص - ١٠\$)

د. سالم لببض



(٩٤٢ ص - ٢٠\$)

معهد ستوكهولم لأبحاث السلام الدولي



(٦٣٨ ص - ٢٢\$)

د. حليم بركات



(٥٤٣ ص - ١٩\$)

وليم نجيب جورج نصار



(٨٧ ص - ٤\$)

د. عبد العزيز الدوري



(٢٨٦ ص - ١٠\$)

د. خير الدين حسيب



(١٩١ ص - ٧\$)

د. عبد المنعم السيد علي